

## إشكالية المصطلح البلاغي في التراث العربي

د. عويقب فتيحة

أستاذة محاضرة-أ-

جامعة معسكر

## الملخص:

إنّ تعدد أهداف الدرس البلاغي بين هدف ديني، تعليمي ونقدي، بالإضافة إلى المراحل التي عرفت بها البلاغة منذ نشأتها وتطورها، كل هذا ساهم في اختلاف المصطلحات البلاغية وتعدد استخدامها بين البلاغيين وفق معاني في كثير من الأحيان كانت مختلفة التسميات. سنقف من خلال هذا البحث على أهم الصعوبات التي أدت إلى إخراج المصطلح البلاغي على ما هو عليه عند البلاغيين الأوائل، إلى جانب بعض الأمثلة عن اختلاف التسميات للمصطلح الواحد. الكلمات المفتاحية: الدرس البلاغي - المصطلحات البلاغية - اختلاف التسميات...

**La problématique du terme rhétorique  
dans le patrimoine arabe**

**Résumé**

*Il existe plusieurs objectifs de l'étude de la rhétorique, entre les objectifs religieux, éducatif et critique, en plus des étapes qu'a connue la rhétorique depuis sa création et son évolution, tout cela a contribué à la différence en termes rhétoriques, et son multi-usage entre les rhétoriciens qui avaient souvent de différentes significations. Dans cette recherche, on discutera sur les difficultés les plus spécifiques qui ont conduit à l'émergence du terme de la rhétorique, comme il est conçu chez précurseurs avec quelques exemples des différents labels du même terme.*

**Mots-clés:** *l'étude de la rhétorique- les termes de la rhétorique, les différents labels de la rhétorique ...*

## 1- ماهية المصطلح:

نجد في المعاجم مادة ( ص ل ح ) صلح الذي ترجع إليه لفظة مصطلح، أي ما يدل على إصلاح الشيء وصلوحه بمعنى أنه مناسب ونافع، صَلَحَ الشيء كان مناسباً أو نافعاً، ويقال هذا الشيء يصلح لك.<sup>1</sup>

وفي لسان العرب ( الصلح تصالح القوم بينهم والصلح السلم وقد اصطلحوا وصالحو واصلحوا مشددة الصاد قلبوا التاء صاداً وأدغموها في الصاد بمعنى واحد أي اتفقوا وتوافقوا.<sup>2</sup>

الصالح ضد الفساد تقول: صَلَحَ الشيء يصلح صلوحاً، قال الفراء وحكى أصحابنا صَلَحَ أيضاً بالضم وهذا الشيء يصلح لك أي هو من بايتك، الصلاح بكسر الصاد المصالحة والاسم الصلح يذكر ويؤنث، وقد اصطلحوا وتصالحو واصلحوا أيضاً مشددة الصاد، والإصلاح نقيض الإفساد. المصلحة واحدة المصالح والاستصلاح نقيض الإفساد.<sup>3</sup>

أما في الاصطلاح فقد عرفه الجرجاني بقوله: الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع لفظ لئلا معنى.

وقيل الاصطلاح: إخراج الشيء عن المعنى الغوي إلى معنى آخر لبيان المراد. وقيل لفظ معين بين قوم معينين.<sup>4</sup>

وعرفه صاحب تاج العروس والاصطلاح اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص.<sup>5</sup> إنَّ تحديد مفهوم المصطلح على درجة كبيرة من الأهمية، إذ هو أهم ما يشغل بال الباحث في تاريخ العلوم، بحثاً يقوم على رصد الحقائق والظواهر العلمية رسداً تاريخياً، للكشف عن مراحل التطور المختلفة في نشأة العلوم.

## 1- جهود عظيمة لعلماء البلاغة الأوائل:

نشأت البلاغة كغيرها من علوم اللغة العربية لخدمة القرآن الكريم وإتقان اللغة وتعليمها والوقوف على أساليبها، ومرّت بأطوار مختلفة، وشهدت تجارب متعددة، وكان المصطلح البلاغي يأخذ معناه العلمي الدقيق كلما ظهر عالم له القدرة على وضع الحدود وصياغة التعريفات.<sup>6</sup>

إذ هناك جهود بلاغية لعلمائنا القدامى لا بد من التنويه إليها كلما سمحت الفرصة، هؤلاء الذين أقاموا بنيان البلاغة العربية، فأوضحت علماً قائماً بذاته، له حدّه وقضاياه ومفرداته و مصطلحاته، ابتداءً بالجاحظ الذي فتح باب التأليف والتصنيف البلاغي، ومروا بابن المعتز

و قدامة بن جعفر وعبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم، وقد كان من أكثر البلاغيين دقة في المصطلح وضبطا للقاعدة ورسمًا للأصول.<sup>7</sup> ثم جاء الزمخشري ليفصل بين علمي البيان والمعاني، وانتهاء بالسكاكي الذي جمع إبداعات السابقين عليه، وأبدع في تبويبها وتقسيمها وتفريعها بأسلوب ينم عن قدرته المنطقية.

وعلى الرغم من تلك الجهود العظيمة والجبارة التي قام بها علماء البلاغة الأوائل، إلا أن المصطلح البلاغي مازال يعاني من إشكاليات عدّة، تتمثل في اختلاف البلاغيين في المسميات (المصطلحات) واتفاقهم في دلالاتها.<sup>8</sup>

فقد حظيت اللغة العربية بدخول كثير من المصطلحات في حقول المعرفة المختلفة بعد حركة الترجمة والاختلاط بثقافات الأمم الأخرى، وفي مجال البلاغة العربية كثيرا من مصطلحات غيرهم من الأمم، وتسربت إليها بعض المصطلحات المتأثرة بالفلسفة والمنطق. وعلى الرغم من معرفة العرب للكثير من المصطلحات واستخدامهم لها واستخراجهم لبعضها، إلا أنهم لم يطلقوا عليها في السابق اسم المصطلح، فلفظة المصطلح لم تستخدم بمعناها الاصطلاحي سابقا ولم تكتسب هذه الصفة الاصطلاحية إلا في العصر الحديث.<sup>9</sup>

### 3- صعوبات وضع المصطلح البلاغي:

واجه المصطلح البلاغي أثناء وضعه -من بداية التأليف البلاغي وحتى عصر الازدهار- مجموعة من العوائق مسّت دقته العلمية اللازمة وصعّبت من تحديد ضوابطه، لعل أهمّها:

- 1- نشأة البلاغة في بيئة المتكلمين والأصوليين.
- 2- ارتباط البلاغة بقضية الإعجاز القرآني.
- 3- تراجع الأدب وعزلة اللغة العربية.
- 4- اختلاف أهداف الدرس البلاغي (ديني، تعليمي ونقدي).
- 5- أكثر علماء البلاغة هم من غير العرب.
- 6- أثر الفلسفة في البلاغة وعلم المنطق.<sup>10</sup>
- 4- اضطراب مدلول المصطلحات البلاغية قديما:

استخدم المؤلفون في مرحلة مبكرة مجموعة كبيرة من المصطلحات البلاغية الأساسية، حيث ترد في كتبهم مصطلحات "بلاغة"، "فصاحة"، "بيان"، "بديع"، "كناية"، "تشبيه"، "استعارة"... إلخ.

ولكنهم لم يكونوا يستخدمون تلك المصطلحات بمدلولات علمية، على نحو ما تحدد لها فيما بعد من مدلولات، أي أنّ هذه المفردات كانت بالنسبة إليهم مفردات لغوية عادية أكثر منها مصطلحات بلاغية ذات مدلول علمي محدد. ولهذا ظلت هذه المصطلحات في تلك المرحلة مضطربة الدلالة، يختلف مدلولها ما بين مؤلف وآخر، بل يختلف لدى المؤلف الواحد وفي الكتاب الواحد ما بين موضع وآخر.<sup>11</sup>

ونحن نتصفح بعض الكتب في البلاغة لاحظنا تداخل المصطلحات البلاغية واضطرابها، نذكر بعض الأمثلة منها على سبيل الذكر لا الحصر:

#### -مصطلح البلاغة:

البلاغة في الأصل اللغوي، "تعني الانتهاء والوصول، يقال: بلغ الشيء أي وصل إليه، وانتهى إليه، وتبلغ بالشيء وصل على مراده، والبلاغ ما يُتْلَغ به، ويُتوصل إلى الشيء المطلوب".<sup>12</sup> إنّ مصطلح "البلاغة" في بدايتها أطلق عليها مصطلح "البديع"، ومن هذا المنطلق أطلق ابن المعتز على كتابه اسم البديع.

كما أطلق عليها اسم "البيان"، كما فعل ابن وهب صاحب كتاب "البرهان في وجوه البيان". فزق ابن سنان الخفاجي (466هـ) في كتابه "سرّ الفصاحة" بين "البلاغة" و"الفصاحة"، حيث جعل "الفصاحة" خاصة بالألفاظ، أمّا "البلاغة" فهي عامة في الألفاظ والمعاني. وبذلك كان كل كلام بليغ فصيحاً، ولم يكن كل فصيح بليغاً. وقسم الفصاحة إلى: فصاحة الكلمة المفردة وفصاحة الكلام.

أورد له الجاحظ عددا من المدلولات المختلفة، كلها بعيدة عن مدلوله الذي استقر له فيما بعد.<sup>13</sup>

أما السكاكي فقد عرفها تعريفاً دقيقاً في كتابه "مفتاح العلوم" فقال: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّاً له اختصاص بتوفية خواص التركيب حقها وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها".<sup>14</sup>

#### -مصطلح التبليغ:

المعنى اللغوي مأخوذ من بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً: وصل وانتهى. وأبلغه هو إبلاغاً وبلاغه تبليغاً.<sup>15</sup>

وقد سمّاه قوم الإيغال وهو: "أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماما قبل انتهائه على القافية ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها فتزيد البيت نصاعة والمعنى بلوغا إلى الغاية القصوى".<sup>16</sup>

### -مصطلح الفصاحة:

الفصاحة في اللغة "الخلوص والنقاء من الشوائب وهذه الدلالة تعمّ مفردات المادة اللغوية، وتنوع بحسب استعمالاتها، فاللبن الفصيح يعني ذهاب اللبأ عنه وكثرة مخضه وذهاب رغوته".<sup>17</sup>

وتختلف الفصاحة عن البيان، ذلك أنّ البيان أعم من الفصاحة والبلاغة.<sup>18</sup>

### -مصطلح البيان:

أصل البيان في اللغة ، الظهور والكشف والوضوح، وقد جمع المعجم هذه المعاني، فبان الشيء: اتّضح. واستبان الشيء: ظهر، وأطلق البيان على الرجل، فكان البيّن من الرجال هو الفصيح، السمع اللسان، وبهذا صار البيان فصاحة، وصار الكلام البيّن هو الفصيح، أي تداخل معنى البيان والفصاحة، ومن ثم قيل: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو من حسن الفهم، وذكاء القلب مع اللسان".<sup>19</sup>

على الرغم من أن الجاحظ جعله عنوانا لكتابه الشهير "البيان والتبيين"، إلا أن هذا المصطلح عرف اضطرابا عنده. فالمقصود بالبيان ليس المدلول البلاغي الدقيق للمصطلح، أي "معرفة كيفية إبراز المعنى الواحد في صور متفاوتة في وضوح الدلالة على هذا المعنى"، وإنما المقصود به معناه اللغوي الشامل، أي ما يرادف الوضوح والظهور والكشف. ولقد كان مصطلح "البيان" عند الجاحظ أعم من مصطلح "البلاغة".<sup>20</sup>

كما وضع الجاحظ مصطلح "التبيين" قرين مصطلح "البيان".<sup>21</sup>

### - مصطلح التبيين:

تبيّن الشيء: ظهر وتبيّنته أنا، ويقال: بأن الشيء واستبان وتبيّن وأبان وبّين بمعنى واحد، والتبيين: الإيضاح والوضوح.<sup>22</sup>

والتبيين هو التوشيح، قال العسكري: "سمي هذا النوع التوشيح، وهذه التسمية غير لازمة بهذا المعنى ولوسمي تبيينا لكان أقرب".<sup>23</sup>

### -مصطلح البديع:

حصره الجاحظ في نطاق الشعر الجديد الطريف، وإن كان لم يحدد خصائصه وحدوده، ولم يضع مفهوما واضحا محدد للمصطلح.

وكان الجاحظ من الأوائل الذين اهتموا بالبديع وصوره، وقد أطلقه على فنون البلاغة المختلفة.<sup>24</sup>

### -مصطلح "المجاز":

هذا المصطلح شديد الابتعاد-عند أبي عبيدة في كتابه "مجاز القرآن"- عن المدلول البلاغي الذي تحدد له فيما بعد-أي استخدام الكلام في غير ما وضع له-فهو "عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعم من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة "المجاز" فيما بعد.<sup>25</sup>

فمثلا في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾-28- المؤمنون، يقول: "مجازه: إذا علوت على السفينة".<sup>26</sup>

### - مصطلح "التشبيه":

لقد استخدم أبي عبيدة في كتابه "مجاز القرآن" مصطلح "التشبيه" بمدلول قريب من مدلوله البلاغي، ويقرنه تارة بمصطلح "الكناية"، وتارة أخرى بمصطلح "التمثيل" أو "المثل".<sup>27</sup>

### - مصطلح "الاستعارة":

يظل هذا المصطلح غير محدد كمفهوم مصطلح المجاز عند أبي قتيبة، فقد اعتبر بعض صور المجاز المرسل استعارة، وبعض صور الكناية استعارة.<sup>28</sup>

والاستعارة مجاز لغوي عند أكثر البلاغيين، وإن كان عبد القاهر الجرجاني قد تردد فيها فجعلها مجازا عقليا مرة ومجازا لغويا تارة أخرى.<sup>29</sup> كما اعتبر السكاكي أيضا الاستعارة أحد فصول المجاز.<sup>30</sup>

### - مصطلح الطباق:

يطلق قدامة بن جعفر(337هـ) صاحب كتاب "نقد الشعر"، على مصطلح "الطباق"-أي الجمع بين المعنى وضده-اسم "التكافؤ".<sup>31</sup> وسمّاه الجرجاني "التطبيق". كما أطلق مصطلح "الطباق" أو "المطابقة" على مصطلح "الجناس".

**- مصطلح التبديل:**

المعنى اللغوي مأخوذ من تبدل الشيء وتبدل به واستبدله به كله: اتخذ منه بدلا. وأبدل الشيء من الشيء وبَدَلَه تخذه منه بدلاً. وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأتي ببديل.<sup>32</sup>

وسماه العسكري "العكس"، وقال: "العكس أن تعكس الكلام فتجعله في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه التبديل".<sup>33</sup>

**- مصطلح الالتفات:**

المعنى اللغوي للكلمة مأخوذ من "لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتا، والتلفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه صرف وجهه إليه، ويقال: لفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات".<sup>34</sup>

عرف هذا الفن عند العرب قديما وأشار إليه الزمخشري، ولعل الأصمعي أول من سماه التفاتا، وسماه ابن وهب "الصَّرف"، وسماه ابن منقذ "الانصراف" وهناك من سماه "الاعتراض". وبدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقا بعد أن بدأت البلاغة تستقر.<sup>35</sup>

فالبلاغيون لم يتفقوا في تسميتهم لهذا الفن البلاغي على تسمية واحدة، فتعددت تسمياته، وتنوعت وسمي تارة الاعتراض وتارة أخرى الاستدراك والصرف والانصراف.<sup>36</sup>

تحدث ابن قتيبة عن الالتفات في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، ولم يسمه التفاتا، وجعله ابن المعتز أول محاسن الكلام، وعرفه بقوله: "هو انصراف المتكلم عن مخاطبة إلى الإخبار إلى مخاطبة، وما يشبه ذلك من الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر". كما عدّه قدامة بن جعفر من نعوت المعاني، وسماه الباقلاني الاعتراض. أما ضياء الدين بن الأثير، فقد توسّع في حديثه عن الالتفات وسماه شجاعة العربية.<sup>37</sup>

**- مصطلح الكناية:**

الكناية لون من ألوان التعبير البياني، وعني بها نقاد العرب، وعرفوا لا مكانتها في الإيضاح والتأثير. ومن أقدم الذين عرضوا للكناية في مؤلفاتهم أبو عبيدة (مجاز القرآن)، الجاحظ (البيان والتبيين)، ابن المعتز في كتابه (البديع)، المبرد (الكامل) وغيرهم.

وما يلاحظ عدم استخدام مصطلح "الكناية" عند قدامة بن جعفر (نقد الشعر)، لأنها لم تكن قد تبلورت بشكلها ومفهومها الذي تطور فيما بعد. أما أبو هلال العسكري فقد اختلط مصطلحا الكناية والتعريض عنده، كما أدخل ابن رشيق الكناية في باب الإشارة.<sup>38</sup>

وإلى جانب المصطلحات المذكورة، نجد أنّ مصطلح الإطناب مثلاً عند الرمازي يعدّ نوعاً من الإيجاز، وهو بذلك يخالف ما تعارف عليه العلماء. إذ هو يسقط الإطناب من أنواع البلاغة.<sup>39</sup> ومصطلح "الجناس" الذي يسميه ابن المعتز التجنيس، ويسميه قدامة بن جعفر "الجناس"، ويسميه الرمازي "التجانس".<sup>40</sup>

وخلاصة القول في هذا البحث المتواضع أنّ المصطلح البلاغي في بداية ظهوره ونشأته، عرف اضطرابات في التسمية وخلط في الاستخدام، مما جعل المتتبع لتاريخ البلاغة وتطورها، يقف على زخم هائل من المصطلحات المتداخلة من حيث المعاني التي تحملها المصطلحات، فكما رأينا أنّ المصطلح الواحد عُرف بعدة تسميات عند البلاغيين القدماء، وذلك يرجع بطبيعة الحال إلى عدّة أسباب قد سبق وذكرنا بعضها في بداية هذا العرض.

### الهوامش:

- 1- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (ص ل ح).
- 2- ابن منظور، لسان العرب، مادة (ص ل ح).
- 3- اسماعيل ابن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (ص ل ح).
- 4- الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية، مصر، 1306هـ، ط1، ص13.
- 5- السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جوهر القاموس، مادة (ص ل ح).
- 6- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1، 2006، ج1، المقدمة.
- 7- المرجع نفسه: المقدمة..
- 8- عمر عبد الهادي عتيق، إشكالية المصطلح البلاغي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع3، 2004، ص116.
- 9- رولا سلطان كوافحة، تطور المصطلحات النقدية والبلاغية في الأدب المملوكي-ابن الأثير الحلبي أنموذجا-، دار الكندي، عمان، ط1، 2009، ص53.
- 10- حسين دحو، المصطلح البلاغي (إشكالية الماهية والتصور)، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، ع13، 2013، ص116.
- 11- علي عشري زايد، البلاغة العربية (تاريخها-مصادرها-مناهجها)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط5، 2006، ص33.
- 12- ابن منظور، لسان العرب، مادة (بلغ).
- 13- علي عشري زايد، البلاغة العربية (تاريخها-مصادرها-مناهجها)، ص34.
- 14- السكاكي، مفتاح العلوم، ص196.
- 15- ابن منظور: لسان العرب، مادة (بلغ).
- 16- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص20.
- 17- الفراهيدي، العين، ج3، ص121.

- 18- محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد-المصطلح والنشأة والتجديد-، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2006، ص26.
- 19- ابن منظور، لسان العرب، مادة (بين).
- 20- علي عشري زايد، البلاغة العربية (تاريخها-مصادرها-مناهجها)، ص40.
- 21- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص29.
- 22- ابن منظور: لسان العرب، مادة (بين).
- 23- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص378.
- 24- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص21.
- 25- علي عشري زايد، البلاغة العربية (تاريخها-مصادرها-مناهجها)، ص24.
- 26- عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب، القاهرة، ط1، 2001، ص20.
- 27- المرجع نفسه، ص26.
- 28- المرجع نفسه، ص56.
- 29- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص136.
- 30- رولا سلطان كوافحة، تطور المصطلحات النقدية والبلاغية في الأدب المملوكي-ابن الأثير الحلبي أنموذجا-، ص105.
- 31- ينظر: المرجع نفسه، ص210.
- 32- ابن منظور، لسان العرب ، مادة (لفت).
- 33- أبو الهلال العسكري: الصناعتين، ص371.
- 34- المصدر نفسه، مادة (بدل).
- 35- أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص294.
- 36- رولا سلطان كوافحة، تطور المصطلحات النقدية والبلاغية في الأدب المملوكي-ابن الأثير الحلبي أنموذجا-، ص119.
- 37- ينظر: المرجع نفسه، ص126.
- 38- ينظر: المرجع نفسه، ص224.
- 39- عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، ص31.
- 40- رولا سلطان كوافحة، تطور المصطلحات النقدية والبلاغية في الأدب المملوكي-ابن الأثير الحلبي أنموذجا-، ص193.